



areda.mosque@gmail.com

٤ صفر ١٤٣٠ هـ

٦

الإمام الحسن وتحصين الأمة



قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢) الإسراء

ودار أبي سفيان بما تحمل من لؤم وخبت وحقد وضغينة وخساسة، وما تمثل من مكر وكفر وعداوة هي الأخرى مشمولة بمن فيها ومن يدخلها بالأمن والأمان (مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ). ولكن على الداخل إليها أن يتحمل أعباء انحيازه لهذه الدار.

وطويت هذه الصفحة وتمر الأيام والسنون وهي حبل بناتج يدركه البصير العارف... فمحمد ﷺ الذي أعطى الأمان يوم افتتح مكة، وعفا حين اقتدر من رؤوس الحرب فيها، يواجه مرة أخرى! هي هي الحرب كر وفر، والقوم أبناء القوم وإن اختلف المظهر فالمخبر هو هو واحد يتكرر فيتمظهر بما يحقق المصلحة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُكُمْ لَمْ تَوَدُّوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤) الحجرات

بين معاوية والحسن عليه السلام:

استشهد أمير المؤمنين عليه السلام وبويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة بعد أبيه فأصبح طبقا لما تعارف القوم عليه الخليفة الراشدي الخامس، وكان عليه أول الأمر معالجة ملف التمرد الذي قاده والي الشام "معاوية

ما أن دخل رسول الله ﷺ إلى مكة يوم الفتح حتى أطلق مقولته المشهورة (مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ).

وقد قرأت الجملة الأخيرة من قبل البعض على أنها نوع تكريم لأبي سفيان خصوصا وأنها جاءت في سياق طمأنة المقاتلين من الكفار على أنهم الشخصى، ومن المؤكد أن الاعتزال وإلقاء السلاح لا يعد مزية لفاعله وإن أدخله فعله هذا في عداد الأمنين، وهذا الأمر وإن كان ينطبق أيضا على الداخل للبيت الأموي الذي عرف صاحبه بكفره ومكره وعدائه الشديد للدعوة المحمدية إلا أن إفراده أبان للناظرين أن له مكانة ما دفعت بصاحب الرسالة أن يخصه دون غيره اتقاء أو رجاء.

ورأى فريق آخر أن ذلك لا يدل على شيء من ذلك البتة وإنما أراد رسول الله ﷺ من مقولته أن ﴿يُمَيِّزُ الْحَيِّثُ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ كي يكون معلوما، فبيت الله الذي يمثل قيم السماء يظل داخلية بالأمن والطمأنينة والسكينة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٦) فِيهِ ءَايَتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا..... (١٧) آل عمران



لا يسبقان جده رسول الله ﷺ وهو ينتظر الاسم من العلي الأعلى. ومن السماء سمي حسنا. (٢)

وفي مناسبات عدة ولبيان الموقع والمكانة والدور المعد للإمام الحسن وأخيه صرح النبي غير مرة بسيادته وأخيه على أهل الجنة ولازم ذلك سيادتهما على الجميع بما فيهم الرسل والأنبياء والأوصياء، وإمامته وأخيه وحبهما بل وحبهما لمن يحبهما.

روى ابن عباس عن النبي ﷺ قوله في حديث طويل: ﴿أَمَّا الْحَسَنُ ﷺ فَإِنَّهُ ابْنِي وَوَلَدِي وَمَنِّي وَفَرَّةٌ عَيْنِي وَضِيَاءٌ قَلْبِي وَثَمَرَةٌ فَوَادِي وَهُوَ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْأُمَّةِ أَمْرُهُ أَمْرِي وَقَوْلُهُ قَوْلِي مَنْ تَبِعَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَاهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ تَذَكَّرْتُ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الدُّلِّ بَعْدِي فَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ بِهِ حَتَّى يَقْتُلَ بِالسَّيِّئِ ظُلْمًا وَعَدُوًّا نَا فَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَكَى الْمَلَائِكَةُ وَالسَّبْعُ الشَّدَادُ لِمَوْتِهِ وَيَبْكِيهِ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ فَمَنْ بَكَاهُ لَمْ تَعَمْ عَيْنُهُ يَوْمَ تَعْمَى الْعَيُونُ وَمَنْ حَزَنَ عَلَيْهِ لَمْ يَحْزَنْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَحْزَنُ الْقُلُوبُ وَمَنْ زَارَهُ فِي بَقْعِهِ ثَبَّتَتْ قَدَمُهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ. (٣)

١. وفي محاولة لإضعاف دور هذه الشخصية العظيمة والتقليل من شأنها حاولوا النيل من هذه المكانة حتى وصل بهم الأمر أن يروجوا كذبا وزورا على لسان أبيه أنه خطب في مسجد الكوفة واصفا ابنه بكثرة الزواج والطلاق وطالبا من المسلمين عدم تزويجه.

ولعل الأشد من ذلك تأثر معسكر الإمام الحسن بالشائعات التي تبث من جهة العدو من أن بين الإمام ومعاوية مفاوضات سرية حول تسليم الأخير الأمر كله مما دفع ببعض المنخدعين والمندسين والمتمصلحين لإحداث فوضى أدت إلى إلحاق الأذى الجسدي وتبعه محاولة اغتيال الإمام ﷺ.

٢. بعد الصلح حدثت اهتزازات ارتجت لها نفوس بعض أصحابه ﷺ فخاطبوه بعبارات قاسية كتولهم (السلام عليك يا مذل المؤمنين) والتي يظهر منها التشويش في الرؤية نحو القيادة وضعف مكانتها في نفوسهم. وقد تعامل الإمام ﷺ مع هذا الأمر باعتباره المرجعية الساهرة على مصالح الأمة في كافة المجالات، وفي هذا المورد أعني أزمة القيادة السياسة عالج الإمام اشكالياتها وتداعياتها بالترفع عن الذات والأنا واعتماد مبدأ الخير والمصلحة للأمة بشكل عام ولشيعته ومواليه بشكل خاص.

قال الإمام الحسن ﷺ في إحدى خطبه أمام معسكره: ﴿أَلَا وَإِنِّي نَظَرْتُ لَكُمْ خَيْرًا مِنْ نَظَرِكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَلَا تَخَالِفُوا أَمْرِي وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ رَأْيِي. (٤)

بن أبي سفيان " أبان خلافة الإمام علي ﷺ، والذي تمدد فأخذ مصر الكنانة، والآن وبعد أن استشهد الإمام علي ﷺ يطمح لأن يستولي على جميع أجزاء الدولة الإسلامية... فكان ما كان من مواجهة انتهت بصلح نقضه معاوية بعد توقيعه، ولإحكام السيطرة عمل على تحويل الدولة الإسلامية من نمط الخلافة الراشدة إلى ملك يتوارثه الأبناء عن الآباء... وهكذا كانت واستمرت إلى أن انتهت وبادت.

وهكذا خطط وفعل:

في مقارنة لطيفة بين علي ﷺ ومعاوية ورد عن أمير المؤمنين ﷺ قوله: ﴿وَاللَّهُ مَا مُعَاوِيَةَ بِأَدْمَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْمَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ وَكُلُّ فَجْرَةٍ كُفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَعْرِفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مَا أَسْتَعْفَلَ بِالْمَكِيدَةِ وَلَا أَسْتَعْمَرَ بِالشَّدِيدَةِ. (١)

لم يكن من السهل على معاوية إعلان تمرده لو لم يخطط ويعمل على إحداث فجوات في جسم الأمة الإسلامية تمكن من خلالها التمرد على الخليفة الشرعي واقتطاع ولايتين عن مركز الخلافة، وقد تركز تأثير هذه الفجوات في تفعيل البعد المادي عطاء وحرمانا بدلا من البعد المعنوي والديني، والتجهيل المرتكز على التضليل الإعلامي بدلا من التعليم الديني المستخلص من وحي السماء وتعاليم السنة النبوية الشريفة، والتعليم الحياتي المستجيب لحاجات الإنسان في زمانه وتطلعاته وطموحاته.

وقد أدت تلك الفجوات إلى إضعاف حصانة الأمة فأصبحت الأفكار والثقافات الغريبة تنفذ إليها بمطية الوضاعين والقصاصين وعلماء السوء الطامعين للمال والمناصب والمصالح الشخصية.

أمام هذا الوضع المتردي جاء دور الإمام الحسن ﷺ فعمل في الأشهر القليلة التي بوبع فيها خليفة للمسلمين على إخماد نار الفتنة والقضاء على التمرد ولكن الفجوات والمنافذ التي أحدثها معاوية في جسم الأمة كبيرة وكثيرة مما اضطرت الإمام ﷺ لعقد صلح أو هدنة أفضت إلى تحي الإمام ﷺ عن السلطة السياسية والتوجه نحو الأمة لتقويم مسيرتها وتحصينها من الأخطار والانحرافات.

ويمكن لنا تلخيص معركة التحصين التي خاضها الإمام الحسن مع الأمويين - والتي تمثل جانبا واحدا من معركة النهوض بالأمة- بنقاط أربع:

أولا: مرجعية الأمة

تقديرًا للدور الذي ينتظره فقد رعت السماء في كل شيء فما أن أطل بطلعته البهية على هذه الدنيا حتى تدخلت السماء في تسميته، فأبواه



**يبتلون أهل الضلال
بألوان قد تنجذب
إليها بعض النفوس،
أو تنخدع بشبهاتها
العامة من الناس
بل ربما البعض من
الخاصة أيضا**



كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى معاوية رسالة قال فيها: ﴿وَأَرَدَيْتَ جَيْلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا خَدَعْتَهُمْ بِغِيكِ وَالْقِيَتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ تَفْشَاهُمْ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ فَجَازَوْا عَنْ وَجْهِهِمْ وَنَكَّصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَارِثَتِكَ إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَنقُطَةٌ عَنْكَ وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ. (٦)

واستمرارا لذات النهج فقد كاتب الإمام الحسن معاوية غير مرة ناصحا ومبينًا ولكن دون جدوى إلى أن انتهى الأمر بتشابك الأسنة ومنها إلى الصلح الذي أبان الدوافع الحقيقية لما قام به معاوية من تجييش الجيوش والتمرد على خليفتي (الإمامين علي والحسن) بوعيا طوعا من أهل الحل والعقد ومن أبناء الأمة.

قال معاوية في أول خطاب له بعد التوقيع على معاهدة الصلح: أما بعد ذلكم، فإنه لم تختلف أمة بعد نبيها، إلا غلب باطلها حقها !! وانتبه معاوية لما وقع فيه. فقال: إلا ما كان من هذه الأمة، فإن حقها غلب باطلها. (٧)

يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتركون وتحجون؟ ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وانتهم كارهون !. ألا إن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين !! (٨)

**الأنبياء والأوصياء
والصالحون يقومون
بدور الأنموذج
الصحيح للقيم
والمبادئ السماوية
فهم الأسوة الحسنة
لأبناء الأمة**



ثالثا: حل المشكلات وقضاء الحاجات

تُخترق الكثير من الشعوب والمجتمعات من حاجاتها، فالفقر والضيقة والحاجة تزرع في النفوس الضعيفة القابلية للخضوع والتبعية من دون وجه حق، وربما دفعت صاحبها للتفتيش عن من يقضيها له وفي كثير من الأحيان يبيع دينه ولربما دنياه أيضا، كما يحصل في الدول الفقيرة أو تلك التي تعيش حالة من التردّي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي نتيجة الاضطرابات والحروب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ ۝ أَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝﴾ (٩) قریش

ولتحسين الأمة من الاختراقات والسير بها نحو الحياة الكريمة التي أرادها لها الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنَ الطَّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝﴾ (١٠) الإسراء عمل الإمام الحسن على قضاء حاجات الناس على اختلافها حتى الرسمية منها من دون منة تمن أو أجر يرتجى.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) ﴿اعْلَمْ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ (عليه السلام) لَمَّا طَعَنَ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَيْهِ سَلَّمَ الْأَمْرَ لِمُعَاوِيَةَ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ الشَّيْعَةُ عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا مُدَلِّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ (عليه السلام) مَا أَنَا بِمُدَلِّ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي مُعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكُمْ لَيْسَ بَكُمْ عَلَيْهِمْ قُوَّةٌ سَلَّمْتُ الْأَمْرَ لِبَقِي أَنَا وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ كَمَا عَابَ الْعَالَمُ السَّفِينَةَ لِبَقِي لِأَصْحَابِهَا وَكَذَلِكَ نَفْسِي وَأَنْتُمْ لِبَقِي بَيْنَهُمْ. (٥)

ثانيا: تعرية أهل الضلال

يتلون أهل الضلال بألوان قد تتجذب إليها بعض النفوس، أو تتخدع بشبهاتها العامة من الناس بل ربما البعض من الخاصة أيضا وخصوصا إذا أحكمت فصولها بقشور الدين ونزعات الهوى وتمظهرت بالأعراف والتقاليد أو التجديد والتطوير.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝﴾ (٧) آل عمران

والنصدي إلى الشبهات ودفعها بالدليل والبرهان من قبل الإمام وعدول المؤمنين ليس بكاف وحده لذا فهو بحاجة إلى العمل على كشف مصدر الشبهات وإصلاحها ومحيط تأثيرها ما أمكن إلى ذلك

سبيلا، فإن لم يجدي نفعا فتعرية مصدر الفساد والمتأثرين به يمنع من امتدادها ويحصن الناس من الوقوع في شراكها، وربما ردع أربابها من التماذي في بث الأباطيل بين الناس.

وربما يقال أن مقارعة الحجة بالحجة أمر حميد مقبول، ولكن التعدي إلى تعرية الأشخاص مما لا يليق بأحد من العقلاء فضلا عن رجال العلم والفكر والثقافة.

وهذا صحيح إذا تعداه إلى التجريح بشخصه بما ليس فيه أما إذا كان توصيفا لحال واقع أو إبرازا لمفتن متستر فهو من الأمور الحميدة التي يقرها كل ذي لب سليم، وقد وقعت كثيرا في تاريخ الإنسانية وحضارات الأمم، مضافا إلى أن توصيف أصحاب الضلالات الواضحات بأصحاب الفكر هو أول الكلام.

والأهم في هذا الأمر هو أن الهدف من ذلك ليس المقارعة والصراع وليس الدنيا والجاه والسلطة وإنما الامتثال لأمر السماء وتحسين الأمة من الانحراف والانجراف في الضلالات، وهذا هو بعينه ما صدر من الإمام الحسن (عليه السلام) وقبله الإمام علي (عليه السلام) في مواجهتهما مع معاوية.



قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا

اللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾ (١٦) الأحزاب

وسلوكلهم المترجم لتلك التعاليم لا يدخل في قائمة البرتوكولات التي يراد منه المجاملة وإحداث الرضا للناس على غرار العاملين في مجال التسويق، ولا هو بيعت النفس وقسرها على ما تكره، وليس الباعث لهذا السلوك الأمن من العقاب والطمع في الثواب، وإنما هو الامتثال لما هو أهلا لذلك.

والإمام الحسن عليه السلام كان الممثل لأمر الله العامل للحفاظ على عباد الله فمن كان في حصنه نجا من استحواذ شياطين الإنس والجن وشراكلهم وأتباعهم والسائرين معهم نحو الهاوية.

روي أن شاميا رأى الإمام الحسن عليه السلام راكبا فجعل يلغنه، والحسن عليه السلام لا يرد، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه وضحك، فقال: أيها الشيخ أظنك غريبا، ولعلك شبهت، فلو استعبتبتنا أعتبنك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعا أشبعناك، وإن كنت عريانا كسوناك، وإن كنت محتاجا أغنياناك، وإن كنت طريدا آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك لأن لنا موضعا رحبا وجاها عريضا ومالا كثيرا . فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي، والآن أنت أحب خلق الله إلي، وحول رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقدا لمحبتهم . (١١)

روى في المناقب أن أعرابيا جاء إلى الإمام الحسن، ومن دون أن يسأل الإمام عليه السلام حاجته، قال الإمام عليه السلام: أعطوه ما في الخزانة، فوجد فيها عشرون ألف درهم، فدفعها إلى الأعرابي، فقال الأعرابي: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي، فأنشأ الإمام الحسن عليه السلام:

نَحْنُ أَنْسَأَسُ نَوَالِنَا خَضَلَ
يَرْتَعُ فِيهِ الرِّجَاءُ وَالْأَمَلُ
تَجُودُ قَبْلَ السُّؤَالِ أَنْفُسُنَا
خَوْفًا عَلَى مَاءٍ وَجْهٍ مِنْ يَسَلُ
لِوَعَالِمِ الْبَحْرِ فَضْلَ نَائِلِنَا

لِفَاضٍ مِنْ بَعْدِ فَيْضِهِ خَجَلُ (٨)
وذكروا أنه أتاه رجل في حاجة فقال: اذهب فاكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا نقضها لك، قال: فرفع إليه حاجته، فأضعفها له: فقال بعض جلسائه: ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله، فقال: بركتها علينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلا، أما علمت أن المعروف ما كان ابتداء من غير مسألة، فأما من أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذلك لك من وجهه. (١٠)

رابعاً: السلوك القدوة

الأنبياء والأوصياء والصالحون يقومون بدور النموذج الصحيح للقيم والمبادئ السماوية فهم الأسوة الحسنة لأبناء الأمة بل وللأمة والأجيال القادمة.

ولهذا النموذج دور أساس وفعال في توجيه الأمة نحو ما تدين وتعتقد به وتبعدها عن الخارج الذي لا يريد سوى تحقيق مصالحه الذاتية حاكما أو حكومة أو شعبا، ولعلك تجد أن الكثير من الأمم تخترق بالرمز القدوة والمثال فتبث ثقافتها وتحصل على أطماعها من خلاله، والرمز القدوة قد يكون نجما فتيا أو نجما رياضيا أو مفكرا أو سياسيا بل ربما يكون أمرا وهميا كما في أفلام الرسوم المتحركة.

ونظرا لخطورة هذا الأمر اعتبر القرآن الكريم الطبقة العليا في رسالاته (الأنبياء والأوصياء وحواريهم) هم من يمثلون الرمز القدوة والنموذج وحث تابعيه على ضرورة التأسى بهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۖ﴾ (٤) الممتحنة

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٩١.

(٢) راجع بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٤٢ وغيره.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٤٠.

(٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٤٧.

(٥) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٨٨.

(٦) نهج البلاغة ص ٤٠٦.

(٧) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩٢.

(٨) الشيخ راضي آل ياسين، صلح الحسن، ص ٢٨٥.

(٩) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٨٢.

(١٠) السيد المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ١١ ص ١٤٧.

(١١) الشيخ عباس القمي، الأنوار البهية ص ٨٩.